في اوروبا . لقد نظر الصهاينة الى هذه الحرب لا كنزاع بين الفاشية والديمقراطية وانما كنزاع بين اليهود واعداء اليهود . هكذا تدرس في المدارس الاسرائيلية . ورأوا ان هذه الحرب الهائلة انتهت بانتصار اليهود وهتفوا بفخر « اليهودي سيقف دائما على قبر مستعبد » ، ورأوا ورأى العالم اسيادهم بالامس يتوسلون على جرعة من السم في زنزانات نورنبرغ . وبانتهاء الحرب أسسوا لنفسهم الدولة التي اعتبرها الجميع اضغاث احلام . ثم خاضت هذه الدولة ثلاث حروب مصيرية ضد شعوب اكثر منها عددا ومساحة وتاريخا عسكريا وانتصرت . ولا شك ان تخاذل القوة العسكرية العربية في السنين الفائتة ركز في ذهن الاسرائيليين شعورهم بالمناعة المطلقة: « الجيش الذي لا يندحر » ، وهو نفس الشعور المتغطرس الذي عاشته المانيا الهتلرية حتى كسر شوكتها الجيش الاحمر . وتلقي اسرائيل بالنازية هنا أيضا في أن الغطرسة النازية جاءت كذلك بعد فترة من الذلة القومية عاشها الشعب الالماني، بعد معاهدة فرساي .

ارادت اسرائيل الحصول على اليهود السوفييت فأثارت العالم برمته ضد الكرملن حتى اجبرت ثانية الدول العظمى على الاذعان وفتح الابواب . سدني وب ، ارنست بفن ، جيمس فورستل ، جورج براون ، شارل دي غول ، واحدا بعد واحد من عمالقة السياسة انهار بعد أيام من الوقوف في وجه الامالي الصهيونية . وتداولت الهمسة بين السياسة الطموحين : اذا اردت المستقبل احذر من الوقوف في وجه اليهود .

لقد شبه احد المراقبين اسرائيل بانكلترا في القرن التاسع عشر ، الفترة التي اغرق الانكليز بها العالم بنشاطهم يوم كانوا قادرين على تحقيق اي شيء ونيل اي مطمح . ولكن ليس وجه الشبه الاخير الوحيد . في القرن التاسع عشر سيرت بريطانيا اسطولها لمحاصرة الموانيء الاجنبية لمجرد اعتقال اي بريطاني في أية جريمة او جنحة . وعاشت كافة الدول في ذعر من مس اي مواطن من مواطني صاحب الجلالة . هذا هو الوضع الذي يعيشه الاسرائيليون الان . وما الضجة الهائلة التي اثيرت حول شلة من اسرى الحرب الاسرائيليين الاجانب من هذا الموقف .

ويجد الانسان الان وسائل الاعلام الغربية تكرس صدورها لاي يهودي يصاب بأذى مضايقة في حين يهلك مئات من الناس جوعا في الهند واثيوبيا دون كلمة من هذه الوسائل الاعلامية . لقد امتلأت واجهات الصحف البريطانية في نوفمبر بالمقالات الطوال عن مشكلة بانوف وزوجته . المشكلة الوحيدة هي ان السلطات السوفياتية رفضت اعطاء الزوجين تأشيرة خروج الى اسرائيل . والواقع ان متصفحي الجرائد الغربية لا يحتاج بحثا طويلا للمس هذه المكانة الممتازة التي تعطى لمن تحتضنهم الحركة الصهيونية . وقد تصفحت شخصيا واعتباطيا بعض هذه الجرائد عند كتابة هذه المقالة ووجدت ان الديلي تلغراف اعطت ٥٠ سطرا في ٣١ يناير لنبأ اضراب بانوف عن الطعام . ولكن نفس الجريدة المحترمة لم تذكر حرفا واحدا عن اضراب ١٥ شابا ايرانيا عن الطعام قبل يوم واحد فقط امام كنيسة سان مارتنز في قلب لندن احتجاجا ضد عقوبة الاعدام التي اصدرتها حكومة الشاه بحق نخبة من المثقفين الايرانيين . وكذلك لم تشر التايمس الى نفس الخبر . وكذلك لم تذكر الديلي تلغراف اي شيء عن عقوبات الاعدام التي صدرت ضد ٦٢ مغربيا في ٢٩ منه . ولم تذكر التايمس شيئا في ٢٨ منه عن المجاعة التي اكتسحت قسما من الهند وأدت الى هيجان تمخض عن مقتل ٤٠ مواطنا جائعا برصاص الشرطة .

لقد اتصل احد الصحفيين الانكليز بمنظمة العفو العالمية للسجناء السياسيين في السنوات الاخيرة متسائلا عن أية اخبار جديدة عن السجناء في العراق . وعندما بدأت الموظفة باعطائه ما عندها واكتشف انهم لم يكونوا من اليهود قاطعها قائلا « عرب ؟ انا لم اسأل عن العرب . من يعبأ بالعرب ؟ اريد اليهود فقط » .

وربما وصل التأثير الصهيوني اوجه الدولي في مسك يد نيكسون عن التعاون مع موسكو . ها هنا امام اعظم دول العالم تسعيان بعد سنين من الجهود للوصول الى تفاهم ووفاق لحمته التعاون الاقتصادي فاذا بهما تتعثران على عتبة ذلك الوفاق عندما يصر الكونغرس على منع الرئيس الامريكي من مد يد الصداقة كاملة الى موسكو ما لم تتعهد موسكو بفتح الهجرة الى اسرائيل . « الصيارفة يحكمون العالم » هي كلمة لافاييت التي لا تقل جدارة بمكان في قاموس السياسة